بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝ ﴾ [الرحمن: 1-4]، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وإمام أهل البيان والتبيين ، وأفصح من نطق بلسان عربي مبين ، أما بعد :

فقد اتجهت بعض الدراسات اللغوية الحديثة إلى تصنيف الدلالة إلى دلالة صوتية ، ودلالة صرفية ، ودلالة تركيبية (دلالة الجملة) ، ودلالة قاموسية (معجمية) ، وغير ذلك من التصانيف التي تقوم على بحث المعني في إطار علم الدلالة ، وقد تعددت هذه الدراسات بتعدد المناهج والاتجاهات ، وأثرت الثقافات بدورها في الباحث واللغة ، وتدخلت في اختيار منهج الدراسة ، وأصبح عامة البحث الحديث منصباً على دراسة اللغة من ناحية توظيفها في الخطاب أو التواصل اليومي ، وكل ما يتعلق بإنتاج اللغة (المرسل ، المتلقي ، قناة الاتصال ، المكان ، الزمان ...) ، فاللغة أهم وسائل الاتصال الإنساني وأكثرها تأثيراً وانتشاراً وأغناها دلالة .

ولقد أصبح بحث الدلالة هدفاً لكثير من اللغويين ومجالاً من أهم مجالات البحث اللغوي ، وقد قامت الدراسات الحديثة على مناهج البحث اللغوي الحديثة ، فكانت أكثر تنظيماً ومنهجية وموضوعية مما قدمه القدماء في مجال الدراسات اللغوية ، فقد كانت اللغة تدرس دراسة عامة دون تحديد أو تخصيص الموضوعات في بدء نشأة الدراسات اللغوية، ثم تطور البحث فيها وظهرت المدارس اللغوية ، ولم تكن النظرة الشمولية منهج كل العلماء ، وإنما كان ذلك في مرحلة مبكرة من تاريخ نشأة البحث اللغوي ، وقد ظهرت هذه المناهج العلمية حديثاً ، وحيكت على منوالها فروع العلم الحديث ، فأصبح لكل فرع نظرية يقوم عليها ويدرس في حدود مبادئها الأساسية .

ولقد اتجه بعض العلماء إلى دراسة اللغة عملياً فاهتموا بوظيفة اللغة والمقاصد التي تحققها في التواصل اليومي ، وعالجوا لغة الخطاب اليومي ، وطريقة تأليف المتكلم رسائل

لغوية يوجهها إلى المتلقي ، فيقوم الأخير بمعالجتها لغوياً لتفسيرها ، فظهرت الحاجة إلى تحليل اللغة للتعرف على دلالتها ، وقام علماء اللغة بتفكيك اللغة إلى وحدات دلالية ، واختلفوا في أصغر وحدة دلالية ، فبعضهم رأي أن الكلمة هي أصغر وحدة حاملة المعني على اعتبار أن اختلاف كلمة واحدة في التركيب يحدث تغييراً في دلالة التركيب ، ولكن بعض علماء اللغة توصل إلى وحدات أخري أصغر من الكلمة ، وهي الوحدات الصوتية والصرفية ، وإن كانت وحدات غير مستقلة ، ولكنها ليست أصغر وحدة دلالية فاختلاف الحرف (الصوت) يؤثر في دلالة الكلمة ، وبعض العناصر الصوتية التي تصاحب أداء الجملة تؤثر في دلالتها ، مثل نبر الجملة ، وتنغيمها ، وإيقاعها ودرجة الصوت .

وذهب بعض العلماء إلى أن صفات الصوت تؤثر في دلالة الكلمة أيضاً ، كما رأي علماء العربية قديماً وحديثاً أن حركات الإعراب تشارك في توضيح دلالة التركيب.

ويؤثر كذلك اختلاف المورفيم (الوحدة الصرفية) ، فصوت الياء في "مصري" يدل على النسب ، والياء وحدة صرفية ، وكذلك الميم والواو في "محمود" ، والألف في "قاتل" ، فالميم والواو يدلان على اسم المفعول ، والألف يدل على اسم الفاعل ، وهمزة الوصل والسين والتاء في "استخراج" ، للدلالة على الطلب ، وزيادة التاء والألف في " تقاتل " تدل على المشاركة في الحدث ، وقد توصل علماء العربية إلى دلالة هذه الوحدات الصغرى ، وتوصلوا إلى أن حركات الإعراب تميط اللثام عن وظيفة الكلمة في الجملة ، وتكشف عن معناها وتحدده ، وتدفع اللبس عن دلالة التركيب ، وقد سجل رواد العربية هذه الحقائق في كتبهم ، واستدلوا على صحتها بشواهد لغوية كثيرة ، تؤكد أن هذه الجوانب الدلالية أصيلة في العربية ، وتؤكد مؤلفاتهم أن لهم قدم السبق في هذا المجال ، وهذا ما حدانا إلى دراسة هذه الجوانب في تراثنا الذي عولنا عليه في دراستنا هذه .

وقد اتجهت بعض أنظار المحدثين العرب إلى دراسة جهود الغربيين في مجال اللغة ، فنسبوا إليهم الفضل في وضع أسس علم الدلالة ، وتناولوا تاريخ البحث الدلالي عندهم قديماً وحديثاً ، متجاهلين دور الثقافة الإسلامية في إثراء الدراسات اللغوية ، ويشيرون على استحياء إلى بعض جهود القدماء ، بيد أنها ليست بشيء أمام ما ذكروه عن الغربيين ، وهم

في موضوع حديثهم عن اللغة العربية يحدثونك عن اللغات الأجنبية ويتخذونها مثلاً ، ولا يتمثلون بشيء من عربيتهم كأنهم غير أحفياء بها ، وتفهم من سياق حديثهم أن العربية ليست نموذجًا صالحًا للدراسة ، ويعالجونها في ضوء اللغات الغربية ، فيقولون فيها ما لا يرضى من القول منكرًا وزورًا ، ويحسبون أن ما يجهلوه منها نقص فيها وعيب ، وهم لا يعلمون أن رجالها قد أحاطوا بما لم يحيطوا به ، وسبقوا إلى مالم ينتهوا إليه .

ويتحدثون عن أعلام اللغويين الغربيين وجهودهم ومناهجهم ومؤلفاتهم ، ولا يلتفتون إلى أعلام العربية وريادتهم في البحث اللغوي وكشوفهم والنتائج العظيمة التي توصلوا إليها وسبقهم في معرفة بعض العلوم اللغوية التي نسبت إلى الغربيين مثل: علم اللغة ، وعلم الأصوات ، وعلم التركيب Syntax أو علم النحو ، وعلم الصرف Morphology ، وعلم القاموس أو المعجم Lexicography ، وعلم الدلالة Semantics وما يدخل فيه من علم دلالة الكلمة وعلم دلالة الجملة أو العبارة ، وعلم دلالة النص Textsemantics ، وبحث علماء العربية علاقة اللغة بالرمز وعلاقتها بالعالم الخارجي ، وبحثوا علاقة الكلمة بالسياق اللغوي وأثر السياق في المعنى ، وعالجوا اللغة في ضوء نظرية الاتصال ، والتراث اللغوي العربي زخم بكثير مما يحدث به بعض المحدثين عن الغربيين ، ولكن آفة بعض المحدثين أنهم يعلمون عن الغربيين كل شيء ولا يعرفون عن تراثهم شيئًا ، ويتعصبون للغربيين ويدافعون عن أفكارهم أكثر من تعصب الغربيين لأنفسهم وأفكارهم ، وقد تاب الغرب عن بعض مذاهبه الفكرية ، ولكن الشرقيين لم يتوبوا عنها ويحرصون على المجاهرة بها !

واللغة العربية تعد أكثر اللغات بحثًا ، وإنتاجًا ، فلم تحظ لغة عالمية برعاية أبنائها مثلما حظيت به العربية منذ نزول القرآن الكريم ، وستظل منوطة بالبحث بفضل القرآن الكريم إن شاء الله .

وقد ترك علماء العربية تراثًا غنيًا في كافة فروع اللغة ، وربطوا بين هذه الفروع في دراستهم ، فعلم الأصوات يشارك علم الصرف في بنية الكلمة ، ويدخل هذان الفرعان في تركيب الجملة ، وقاموا بتحليل مفرداتها ، وبحثوا العلاقة التي تربط بين مفردات التركيب .

ولم يك اهتمام القدماء منصباً فقط على دراسة النحو كقواعد شكلية تنظم عليها الكلمات الشكلية Form Words أو توظيف الكلمات توظيفاً نحوياً مجرداً من الدلالة، بل امتد هدف النحويين إلى مجال أوسع تجاوز الشكل والوظيفة النمطية للفظ في التركيب ، فقد درس النحويون الجمل في إطار المعني ، فعالجوا دلالة الجملة في إطار مستويات التحليل اللغوي : الصوتي ، والصرفي ، والتركيبي (النحو) والدلالي ، وغير ذلك من هذه المستويات مثل الدلالة المعجمية ، والسياقية ، والمعني الحقيقي والمجازي . وقاموا بتفكيك الجمل إلى وحدات دلالية ، فبحثوا الدلالة الزمنية ، والجنس ، والعدد ، وبحثوا وظائف وحدات التركيب مثل : الفاعل والمفعول ، والمبتدأ والخبر ، كما بحثوا دلالة الكلمة المفردة من الناحية الصرفية ، وامتد هذا إلى الوحدات الصغرى ذات الدلالة ، وهي حروف المعاني التي تؤدي وظائف دلالية في التركيب ، مثل حروف المضارعة وياء النسب وحروف الزيادة وأثرها في المعنى ، والذي حدانا إلى دراسة الجانب التحليلي عند القدماء ، ما تردد كثيراً بين أوساط المثقفين من عقم الدراسات النحوية العربية ، وضعف قيمتها في ظل الدراسات الغربية التي شابت الدرس اللغوي الحديث في العالم العربي ، ومحت منه معظم آثار القدماء ، فتوهم ضعاف الرأي وأرباب الجهل أن جهود القدماء غير ذي أهمية في خطابنا اللغوي المعاصر ، فأهل العربية المعاصرون لا يوظفون معظم قواعد اللغة في خطابهم اليومي الذي أصبحت فيه العربية الفصحي لغة أجنبية يشق عليهم الحديث بها أو تعلمها ، فنفر منها الكبار قبل الصغار نفوراً عظيماً ، وتندروا بنكات في معلميها واتخذوهم سخرياً ، فتواري المتكلم بها خجلاً من سوء ما يلقاه من السفهاء .

ونحن نحرص دائماً في مؤلفاتنا على أن نكشف اللثام عن خبايا لغتنا ، وما تملكه من درر ثمينة يحسبها الجاهل عثرة في الطريق ، ولا يكتشفها إلا ذوو البصائر ممن يسبرون غور الأشياء ، ويحسنون الانتفاع بها ، ويدركون أن وراء هذا الغبار كنزًا ثمينًا فيميطون عنه الأذي ، ويضعونه في موضعه بين المعارف الإنسانية العظيمة .

وهذه طبعة جديدة منقحة لدار النشر للجامعات ، وقد قمت بتصحيح ما وقع في الطبعة السابقة ونقحت بعض موضوعاتها وزدت فيها ما وجدته يخدم موضوع الكتاب .

د. محمود أبو المعاطي أحمد عكاشة

القاهرة في **1423** هـ – **2002** م(*)

(*) انتهيت منه في 1423هـ – 2002م .